اليرموك يوم خالد

في تاريخ العروبة

استقبل أهل الشام وفلسطين طلائع جيوش التحرير العربية أحر استقبال ، فهم كانوا ينظرون إلى إخوانهم القادمين إليهم من البادية العربية ، كالمنقذ والمخلص الأوحد من ظلم وجور واضطهاد الروم الغرباء عنهم ، فلقد كانوا خير من يحس بقوة روابط الدم والنسب والقرابة التي تربطهم باخوانهم القادمين بجيوش التحرير العربية ، فمعظم أهل الشام من سلالات وبطون وأفخاذ عربية عريقة في عروبتها ، أو من سلالات ترتبط مع العرب بروابط القرابة البعيدة وباللغة والثقافة ... أما الروم ، فلا تربطهم بأهل البلاد إلا" رابطة دينية واهية ، انتصبت سيفاً مصلتاً على رقاب أهل البلاد .. لذلك سارعت الطوائف المسيحية المختلفة باتخاذ مواقف التأييد ومناصرة القوات العربية ، وعمدوا إلى تسهيل حركة الفتح والتحرير ، إلا" فئة قليلة ارتبطت مع الروم[1].

وسرعان ما وصلت طلائع الجيوش العربية ، عقب يوم اجنادين وفحل ، إلى تخوم الدولة الرومية نفسها ، بعد أن حررت وهي في طريقها معظم المدن السورية الشمالية ، وطهرتها من فلول الجيوش الرومية المنهزمة . وأحست الدولة الرومية بالخطر المحدق بها والذي يهدف إلى إزاحتها من جوهرة مستعمراتهم بالشرق ، فأخذوا في تسيير الجيوش للقضاء على السلطة العربية الناهضة ، وجيّشوا للعرب من الجيوش المرتزقة ما لا طاقة لهم بها ... وذات

---

(١) مخطوطة كتاب الغزوات ، لابن حبيش ، بمكتبة ليدن ـ صفحة ٦٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

صباح ترامت الأنباء بأن جحافل الروم في طريقها إلى شمال سورية . ووجدت القيادة العربية نفسها ولا طاقة لها لتواجه الروم لا سيما وأن القوات العربية كانت موزعة في أنحاء البلاد ، وناقش أمراء الأجناد الشامية خطة اللقاء مع الروم ، وأخيراً استقر الرأي على الانسحاب إلى ضفاف اليرموك « ليكيدوا به عدوهم من المشركين ، وليخرجوا لهم من مدائنهم وحصونهم وقلاعهم ..»(١)

وأكدت مجريات أحداث تلك الفترة بأن خطة الحرب عند العرب قد تطورت تطوراً طبيعياً ، بنتيجة الخبرات المكتسبة خلال اللقاءات المتعددة مع الروم ، فوضع أمراء الأجناد العربية تلك الخطة السليمة للقتال باليرموك ، وكان في محل اهتمامهم عدة اعتبارات ، منها ما خبروه عن أحوال البلاد الداخلية ، ومدى مراكز قوى الروم وأسلوبهم في الميدان ، لذلك كانت الخطة العربية لليرموك متجاوبة مع جميع متطلبات فن التحريك الميداني والتعبئة الحربية .

ومما لا شك فيه أن العرب لم ينسحبوا عن جبن منهم أو خطأ في تقدير قوة الجيش الرومي ، بل تم كل ذلك طبقاً لمتطلبات فن التحريك الميداني ، فلم يكن العرب مجبرين على التلاحم مع الروم على ضفاف اليرموك ، ولا على التخلي عن الأرضين التي حرروها بل هم أنفسهم الذين اختاروا أرض المعركة ، وقد دعاهم إلى ذلك تفهمهم لأهمية فتح جبهة للقتال مع العدو وتبعد عن موارد امداداته ، هذا إلى استدراجهم إلى مناطق أصبح أهلوها أنصاراً للعرب ، وهذا ما سيخلق الاضطراب في خطوطهم الخلفية ، وله الأثر النفسي العميق على العدو .

---

(١) ابن حبيش : ص ٦٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وعندما استكمل القادة العرب كافة الاستعلامات والاستخبارات عن وضع الجيوش الرومية التي تعسكر متأهبة في الثغور الرومية ، بدأت القيادة العربية في تنفيذ الخطة المتفق عليها ، أي الانسحاب إلى ضفاف اليرموك والتخلي عن المدن الشمالية . ولم يخرج العرب من هذه المناطق خروج الفار المنذعر ، بل خرجوا خروج القائد عن قريب ، لذلك أدّوا جميع التزاماتهم تجاه المعاهدين وأهل البلاد ، فردّوا جميع ما تمت جبايته من جزية وخراج ، إذ لم يكن في مقدرة العرب الاستمرار في بسط حمايتهم على أهل البلاد(١).

وتقدّم المصادر العربية التي كشف عنها أخيراً ـ مخطوطة كتاب الغزوات لابن حبيش ـ صورةً واضحة للتطورات التي طرأت على الخطة الحربية باليرموك ... فلقد ناقش أمراء الأجناد جميع الاحتمالات المتعلقة باللقاء مع الروم ، ومنها الاعتصام بالمدن الشمالية المحصنة مثل حمص ودمشق في انتظار وصول المدد وبقية الأجناد .. غير أن الرأي استقر على اختيار منطقة اليرموك لأنها أنسب موقع استراتيجي للمعركة المنتظرة ، فهي مركز هام للمواصلات وملتقى معظم الطرق الرومانية بالشام ، ومنها يمكن وصول مدد أمير المؤمنين بسلامة ، هذا إلى ضمان وصول جيوش بقية الأجناد العربية من أنحاء البلاد .

وتبرز الخطة العربية مدى ما بلغته عبقرية القائد العربي في اختيار اليوم المناسب للقاء الجدّي الفعال مع العدو ، فبعد أن هدأت ضجة القتال لمدة تقارب الشهر ، كانت تتخللها بعض المناوشات التي تهدف إلى ربط الروم بأرض المعركة ، وحتى تصل كذلك الخلافات بين قواد الجيوش الرومية

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، صفحة ١٤٣ ـ وأبو يوسف : كتاب الخراج . . وبقية كتب التاريخ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إلى الحد الذي يهدد وحدة صفوف العدو ، أثار العرب القتال في يوم الضباب وكان أنسب الأيام التي شنوا خلالها القتال ، إذ هبت الرياح الجنوبية الحارة المحملة بالرمال والأتربة ، وخلقت بذلك ظروفاً ميدانية وجسمانية لا تتناسب واستعداد جند الروم .

ما قبل اليرموك

بلغ العرب عقب هزيمتهم للروم في أجنادين وفحل ، أقصى سورية الشمالية ، فبدأت الدولة الرومية تحس بأن حركة الفتح العربية لم يكن هدفها هو السلب والإغارة ، بل تهدف إلى حركة تحرير وفتح واستقرار ، لذا سرعان ما أحست بالخطر المحدق بها ، وبخطر سقوط سورية إلى الأبد . فانتهزت الامبراطورية الرومية فرصة انشغال العرب بالتوغل في الأقاليم السورية والفلسطينية وتوزع قواتهم في أنحاء البلاد ، فأخذت تجيش وتعبىء قواتها ضد العرب لازاحتهم من سورية وحتى تتخلص من خطر توغلهم في أرض الروم نفسها ، فحث هرقل الروم على القتال وقال : « يا معشر الروم ان العرب قد ظهروا على سورية ثم لم يرضوا بها حتى تعاطوا أقصى بلادكم ، وهم لا يرضون بالبلاد والمدائن .. حتى يتخذوا الأمراء وأبناء الملوك عبيداً[1] » .

وواضح من المصادر الرومية بأن الروم كانوا يرمون بانسحابهم من سورية عقب المعارك التي تلت أجنادين ، إلى التأكد من جدّية العزم العربي ، وفي نفس الوقت يهتبلون الفرصة لاستنزاف القوى العربية وذلك بدفعها إلى مسيرة طويلة تتشتت فيها قواتهم في أنحاء البلاد ، وخلال تلك الفترة يتمكن الروم من إعادة تجديد جيوشهم وبدء الحملة على العرب لدفعهم إلى خارج سورية ،

(١) ابن حبيش : ص ٦٥ ، الواقدي : فتوح الشام ص ٩٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

واقتناص الأجناد العربية ، الواحد بعد الآخر والقضاء عليهم جميعهم .. غير أنه لم يكن في حسبانهم موقف أهل البلاد من تلك الأحداث الجارية . فلقد وجد أهل الشام أن مصالحهم ومصيرهم يرتبط مع اخوانهم الذين خرجوا من الجزيرة لتحريرهم من ظلم الاستعمار الأجنبي .

وتبين المصادر العربية والسريانية والرومية مدى حب أهل البلاد للعرب ، إلى حد أن تعهد أهل حمص للوقوف مع العرب ضد الروم ، كما حثوا العرب على البقاء لمناهضة جيوش الروم : « فقال أهل حمص : لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم ... ولندفعن جنود هرقل عن المدينة مع عاملكم ، ونهض اليهود فقالوا : والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نغلب أو نقهر »(١) وقد شعر أهل البلاد بالحسرة والألم لانسحاب العرب ، وانتظروا عودتهم منصورين لكي يتمتعوا بالحريات التي لم يحصلوا عليها من قبل . وهنالك كثير من المصادر النصرانية تؤيد العرب وشعور أهل البلاد نحوهم – فلقد ذكر أحـــد الأساقفة النسطوريين عن أحداث سنة ١٥ هـ : بأن العرب (الطائيين) أصبحوا سادتنا ، وهم لم يكبتوا حرياتنا الدينية ، بل على العكس من ذلك ، عملوا على حماية معتقداتنا ، واحترام رجال ديننا وقديسينا ، كما وأنهم كانوا يقدمون الهدايا والمنح لأديارنا وكنائسنا »(٢) بينما يصور لنا البطريق السرياني اوتيخوس موقف أهل حمص من الروم ، عندما عاتبهم على وقوفهم مع العرب فقال أهل حمص لهرقل : أنت ماروني (ملكاني) وعدو لمعتقداتنا ... (٣) .

---

(١) البلاذري : ص ١٤٣ .

(٢) السمعاني : المكتبة الشرقية ، جزء ٣ ص ٢١٠ .

(٣) أوتيخوس سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع . . بيروت ١٩٠٥ ، ج ٢ ص ٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولقد لعب جهاز الاستخبارات الحربية والأرصاد دوراً هاماً في نجاح الخطة العربية وجميع التحركات الميدانية بالشام. فأولته القيادة العربية عنايتها واهتمامها (١) فلقد أوضحت نتائج الاستخبارات بأن الجيوش العربية لن تستطيع الوقوف ضد الزحف الرومي لأنها مشتتة في أنحاء البلاد ـ لذلك سارع أبو عبيدة بطلب الإمدادات من أمير المؤمنين ، وأنفذ الرسل إلى بقية الأجناد مفضياً إليهم بنتائج التحريات ، طالباً إليهم موافاته بما توصل إليهم من أنباء عن تحركات الجيوش الرومية في مناطقهم ، وأخيراً طلب منهم التوجه اليه للاستمداد لمواجهة العدو . ولم ينس أبو عبيدة النصيحة الغالية التي زودها به الصديق أبو بكر ، وهي أن لا يترك ظهره مكشوفاً للعدو ، وبأن يجتمع العرب عند الإحساس بالخطر في مكان واحد لمواجهة العدو ، ويكون قائد العمليات الحربية هو الأمير الذي تقع أرض المعركة في منطقة نفوذه .

وسرعان ما تواترت الرسل عائدة إلى أبي بكر ومعها بشائر المدد ، فتحركت الجيوش العربية نحو ضفاف اليرموك طبقاً للخطة التي اجتمع عليها رأي أمراء الأجناد .

تضارب آراء المؤرخين في أحداث اليرموك

إلى يومنا هذا لم يستقر الرأي حول موضوعين هامين في موضوع يوم اليرموك ، أي متى وأين وقعت المعركة بين العرب والروم ؟

ومن المفروغ منه بعد أن أكدت المصادر التي كشف عنها حديثاً ، وهي مراجع عربية ورومية وأرمنية ، حقيقة أن اجنادين كانت أول معركة كبرى بالشام وانها تسبق اليرموك ، أن نحاول التدليل على ذلك الآن ، فهناك من

(١) ابن حبيش : صفحات ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٩ ـ واقدي : ص ٩٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الروايات لشهود عيان مثل شهادة أبي أمامة الباهلي ، ما تعزز صحة رأي المغفور له العلامة العراقي طه الهاشمي بأسبقية أجنادين (١) . وهذه الروايات تؤكد صحة ما ذهب اليه كل من دي غويه ومولر ونولدكه في أن اليرموك تلت موقعة اجنادين . وهذه الروايات قدمها ابن عساكر وابن حبيش .

والواقع هو أن المصادر العربية والروايات المعاصرة للأحداث لم تقدم نصوصاً صريحة واضحة يمكن استخلاص النتائج منها بسهولة . وقد حاول كل من دي غويه ومولر إزالة هذا اللبس والغموض وكان دي غويه هو المؤرخ المنطقي الوحيد الذي توصل إلى نتائج مرضية مستعيناً بنتائج ما سبقه من مؤرخين ومما يؤسف له أنه بالرغم من صواب منهج بحثه ، قد شكك في أهمية كتاب فتوح الشام للواقدي وجارى غيره من المؤرخين ، ولم يكتف بذلك بل انه هاجم هانبرج على ثقته بالواقدي ، ويتجاهل دي غويه كتاب فتوح الشام ، رغم غناه بالروايات الأصيلة ، وقد أثبتت التجربة بأن كتاب فتوح الشام يمكن الاعتماد عليه كمصدر للروايات الدقيقة ، هذا إذا قمنا بعملية استئصال وبتر الاضافات القصصية التي أضيفت إلى الروايات في عصور متأخرة . وقد أوضحت روايات ابن حبيش نقلاً عن الواقدي ، بأن كتاب فتوح الشام ليس منسوباً إلى الواقدي ، وبأنها روايات أصيلة وبقلم الواقدي نفسه . وسوف توضح مخطوطة كتاب الغزوات لابن حبيش — عندما ترى النور منشورة — الكثير مما غمض على المؤرخين ، وسوف تعيد في نفس الوقت الثقة بكتاب فتوح الشام .

متى وقعت المعركة

أدى تضارب الآراء في تحديد تاريخ اليرموك إلى إثارة مناقشات لاتنتهي بين المؤرخين ، وقادهم ذلك إلى عدم الأخذ والثقة بروايات سيف بن عمر .

(١) طه الهاشمي : معركة اجنادين ، مجلة المجمع العلمي العراقي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومما لاشك فيه ، فإن تلك الروايات قد خلفت لنا معظم المشاكل التي لم تحل إلى اليوم في تاريخ فتوح الشام . ومن عقيم الرأي أن نتجاهل تلك الروايات ، ومن الواجب التوفيق بينها وبين بقية الروايات بعد القيام بتحليلها تحليلاً منطقياً ، وقد توصل إلى هذا الرأي الأستاذ جواد علي في دراسته القيمة عن مصادر تاريخ الطبري ، ووضع بذلك الأحكام الراسخة التي يمكن اتباعها عند تناول تاريخ الطبري بالبحث (١) .

ومن البديهي أن نتناول بالبحث الأمر حيث تركه هؤلاء المؤرخون على أن نضيف إليه الجديد من البراهين والروايات التي تؤيّد صحة مذهبهم هذا . وقد أجمعت الروايات العربية على أن يوم اليرموك كان في عام ١٥ هـ ، ومنها ما ذكر بأن المعركة كانت في شهر رجب سنة ١٥ هجرية ، وتجمع هذه الروايات على :

١ — روايات مخطوطة ابن حبيش : عن أشياخ سيف بن عمر : « فانزموا (الروم) خندقهم عامة شهرهم ، فخرجوا للقتال الذي لم يكن بعده قتال في جمادى الآخرة » (٢) .

عن الواقدي عن ابن مكحول « .. كانت وقعة اليرموك في رجب سنة ١٥ هـ » (٣) .

٢ — البلاذري : « وكانت وقعة اليرموك في رجب سنة ١٥ هـ »(٤) .

٣ الطبري عن يزيد بن أسيد الغساني : « فخرجوا للقتال الذي لم يكن بعده قتال في جمادى الآخرة » (٥) .

---

(١) جواد علي : مصادر تاريخ الطبري ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ـ في عدة مجلدات .
(٢) ابن حبيش : ص ٨٥ ب .
(٣) فتوح الشام ص ١٣٦ ، وكذا بابن حبيش .
(٤) البلاذري : ص ١٤٢ .
(٥) طبري : ج ٣ ـ ص ٣٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعن المدائني « وكانت هذه الوقعة في رجب »[١] .

وعن الواقدي عن ابن اسحاق « ان وقعة اليرموك في سنة ١٥ هـ »[٢] وقد ذكر ابن اسحاق بأن هرقل جلا في هذه السنة بعد وقعة اليرموك في شعبان من انطاكية إلى القسطنطينية ، ولم يكن بعد اليرموك موقعة[٣] .

وعن ابن اسحاق : « فالتحموا باليرموك في رجب سنة ١٥ هـ »[٤] .

٤ — ابن كثير نقلاً عن الحافظ عن أبي معشر « وكانت في رجب سنة ١٥ هـ »[٥].

وعن ابن الكلبي : « كانت وقعة اليرموك يوم الاثنين لخمس مضين من رجب سنة ١٥ هـ »[٦] .

٥ — ابن خلدون : « وكانت موقعة اليرموك في رجب بعد اجنادين »[٧] .

٦ — الذهبي : « وقعة اليرموك في رجب سنة ١٥ هـ »[٨] .

٧ — ابن عساكر أورد معظم الروايات المعروفة باسنادها المعروف .

أما المصادر الرومية والأرمنية فهي تتفق إلى حد كبير مع المصادر العربية ، ويكمل كل منها الآخر . ويذكر المؤرخ الرومي ثيوفانس بأن أول قتال تمهيدي مع العرب كان يوم الثلاثاء ٢٣ يوليو ٦٣٦ — وهذا التاريخ يوافق ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٥ هـ . وقد ذكرت الروايات العربية الكثير عن هذا اللقاء الذي تم بالقرب من الجابية ـ قبل المعارك الأخيرة بشهر ـ

---

(١) طبري : ج ٣ ـ ص ٤٦ .
(٢) طبري : ج ٣ ـ ص ٥٩ .
(٣) طبري : ج ٣ ـ ص ٥٩ .
(٤) طبري : ج ٤ ـ ص ١٣٦ .
(٥) ابن كثير : البداية والنهاية : جزء ٧ ص ٤ .
(٦) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ج ١ ، ص ٥٢٨ .
(٧) ابن خلدون : تاريخ . جزء ٢ ص ٨٥ .
(٨) الحافظ الذهبي ـ العبر في خبر من غبر ـ الكويت ١٩٦٠ ـ جزء أول ص ١٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أي عندما كانت الجيوش العربية سائرة في طريقها إلى اليرموك . وتستطرد الرواية الرومية فتقول « بان الصقلار مع باهان قد التقيا مع العرب بعد مغادرة حمص .. وكان اللقاء في الجـابية (الجابثة) في اليوم الثالث من الأسبوع — أي ٢٣ يوليو ٦٣٦ م »(١) .

وبالتوفيق بين تلك الروايات وبين آراء كل من فيبل ونولدكه ودي غوية ، يتم التوصل إلى تاريخ المعركة الفاصلة باليرموك أي ٢٠ أغسطس (آب) ٦٣٦ م الموافق ١٢ صفر سنة ١٥ هـ ، أي بعد شهر واحد من أول لقاء تم بالجابية .

الطريق الى اليرموك

بدأت الأجناد الشامية عملية انسحابها خلال الشهور الأولى من عام ١٥ هـ ، تاركة المدن الشمالية في طريقهـا إلى دمشق ، ثم ما لبثت أن غادرت دمشق عندما وافتها الأنباء باستعادة الروم لمدينة حمص ، بعد أن أدت الجباية التي جمعتها من أهل دمشق (٢) . وبناء على اقتراح من يزيد بن أبي سفيان ، عسكرت القوات العربية بالجابية في انتظار قدوم عمرو بن العاص من فلسطين وشرحبيل بن حسنة من الأردن (٣) . وعنـد اقتراب طلائع الروم خلت القيادة العربية عن الجابية واتجهت جنوباً إلى ضفاف اليرموك سالكة الطريق الروماني الذي يوصل نوى باذرعات . وعسكرت القوات العربية في شرقي اليرموك جاعلة اذرعات خلف ظهورها ، واقباضهم ونسائهم على التلال الشرقية ،

(١) ثيوفانس : تاريخ : طبعه De : Boor ص ٣٣٨ الكتاب الأول فصل ٢ .
(٢) ابن حبيش : ص ٥٥ ، ٦٦ .
(٣) الواقدى : ص ٩٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

حيث انتظروا نزول الروم على اليرموك وكذلك بقية الأجناد وكذا مدد أمير المؤمنين (١) .

وفي نفس الوقت ، اقتربت إمدادات أمير المؤمنين من نهر اليرموك ، فلقد خرج من المدينة لواء بقيادة سعيد بن عامر ، حيث التقى هو وفرسانه السبعة آلاف بحامية مدينة عمان بالقرب من حوران ، فشدد عليها القتال ، وقتل نقيتاس حاكم عمان وأباد رجاله البالغ عددهم ٥٠٠٠ رجلاً عن بكرة أبيهم (٢) .

ويسبب تحرك القوات العربية في اتجاه الجنوب الشرقي — أي على طريق نوى اذرعات — ظن الروم بأن العرب يبغون « بانسحابهم الانصراف عن أرض الشام ، لذلك أخرجوا خيلاً عظيماً لتأتيهم من ورائهم لتكشفهم » ، وأرسل باهان طلائعه لتدهم ساقة العرب عند جلائها عن الجابية فخرج اليهم خالد بن الوليد على الساقة ، وأفناها عن بكرة أبيها — وكان ذلك في جمادى الأخرى (٣) .

وعملت الروايات العربية [عن هذه الحادثة] على إكمال وإيضاح رواية ثيوفانس الغامضة عن التقاء العرب والروم بالجابية . أما رواية الواقدي وابن حبيش عن تحركات الجيش العربي ، فانها فسّرت أسباب المناورة الرومية والغرض من تتبع ساقة العرب (٤) .

---

(١) الواقدي : ص ٩٨ ـ ٩٩ .

(٢) الواقدي ص ١١٠ ـ ابن حبيش ص ٨٥ .

(٣) ابن حبيش ص ٧٠ ، ٧٢ .

(٤) الواقدي ص ١١٠ « وتجعلوا أذرعات خلف ظهوركم حتى ينزلوا اليرموك ويكون مدد أمير المؤمنين قريباً منكم » . وفي صفحة ٩٩ ـ ابعثه إلى ما يلي الرمادة (الرقاد) فيكون بين عسكرنا وعساكر الروم » ... وكذلك « وأمر خالد بن الوليد أن يسير بهم ويكون على طلائع المسلمين وحرسهم من وراء ظهورهم » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومما لاشك فيه ، فلقد اتضح للقيادة العربية ضعف الجانبية من الناحية الاستراتيجية ، لوقوعها على ملتقى طرق الإمدادات الرومية الآتية من دمشق وقيسارية وبقية مدن فلسطين ، وهذا مايهدد سلامة خطوط الإمدادات العربية ، ويجعل ساقة وطلائع القوات العربية في موقف خطير . لذلك لم يكن مثيراً للدهشة أن يسلك العرب طريق نوى — اذرعات ، وإلا كانت العرب في موقف خطير يهدد بحصارهم وإبادتهم .

وسيطر العرب وهم على التلال الشرقية على جميع الطرق المؤدية إلى اليرموك ، بينما شكلت تلك التلال خطاً دفاعياً يحمي مؤخرتهم . وأخذت طلائع الروم في المسكرة غربي نهر الرقاد كما ارتآه لهم العرب ، أي النزول في موضع ضعيف من الناحية الاستراتيجية . وقد عسكرت ساقة الروم في منطقة دير الجبل قرب نهر الرماد بمنطقة جولان ، منتظرين توافد بقية القوات الرومية (١) .

ومن الواضح فإن دي غوية سار وراء سراب خادع عندما حاول تفسير الرماده — وهي تحريف للرقاد — والبحث عنها بالقرب من فيق ، حيث يوجد واد قاحل ذكره سيتزن . ومما لاشك فيه ، أن عدم تنقيط الحروف في الكتابة العربية المبكرة ، جعل دي غوية يضل الطريق وراء براهين واهية ، لذلك تجاهل حقائق طبيعية مثل وجود نهر الرقاد ، الذي يتفق من الناحية الاستراتيجية مع الروايات التي جاءت عن ميدان المعركه ، وهذا كله يتفق وطبيعة فن التجييش والتعبئة ، وطبيعة المنطقة طوبغرافياً (٢) .

---

(١) واقدي صفحات ٩٩ ـ ١٠٠ ـ ١١٠ ـ ١١٨ .

(٢) دي غوية ـ فتوح الشام : ص ٦١٨ ، ٦١٩ .
سعيد بن البطريق ـ جزء ٢ ص ٢٧٣ ، ابن حبيش ص ٦٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

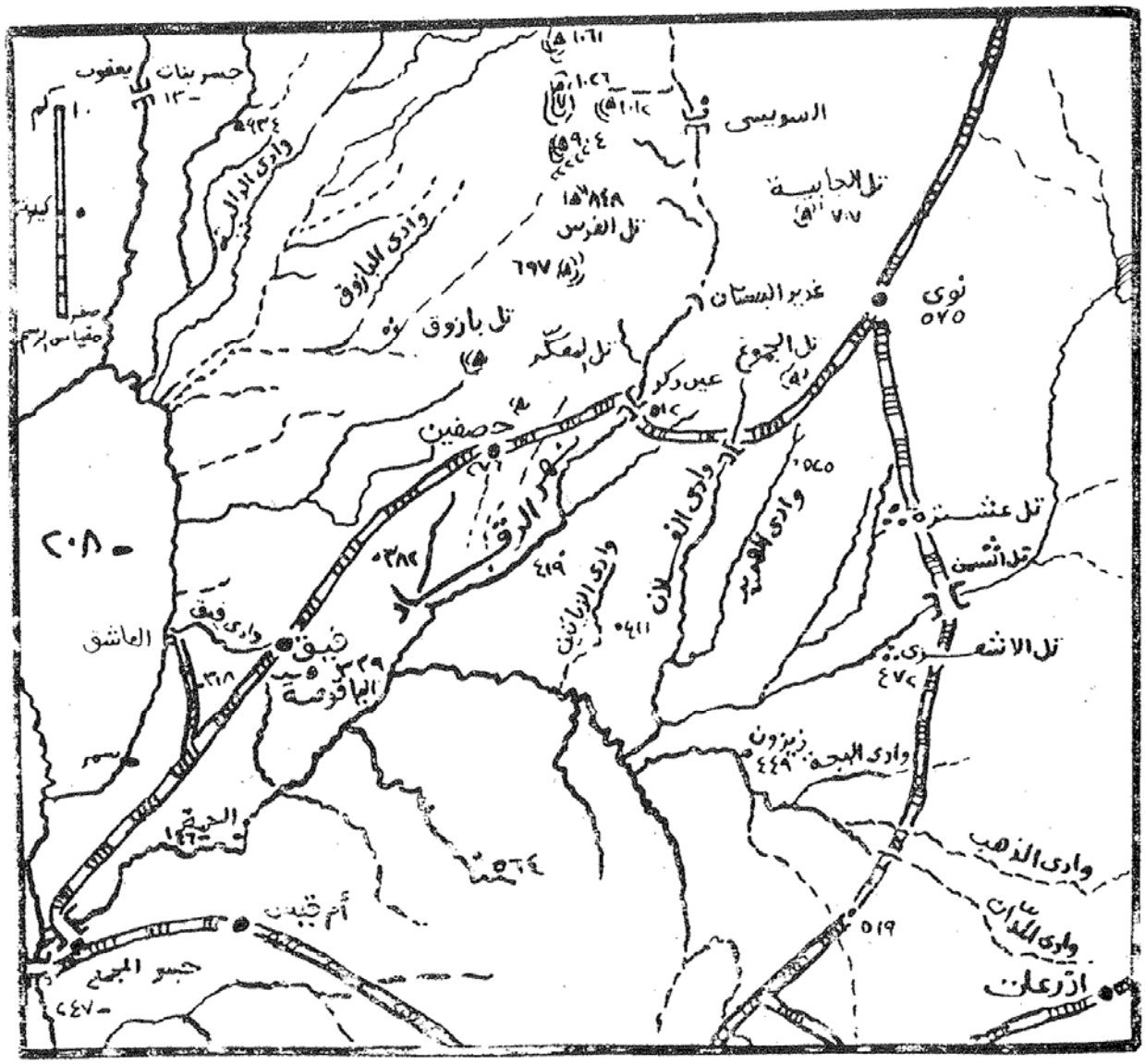

خريطة لموقع معركة اليرموك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وحاول دي غوية استغلال أحداث الواقوصة — وهي إحدى أيام اليرموك الأخيرة — لكي يدلّل على صحة استنتاجه وهي بأن المعركة كانت قرب فيق أي بوادي الرمادة حيث وُقيصَت رؤوس الروم . بينما كانت الواقوصة حدثاً ويوماً من أيام اليرموك مثل يوم الضباب والرزاز والتعوير ، وبدأ هذا اليوم بشرقي نهر الرقاد ، وانتهى بتعقب الفالة في منطقة جولان .

ورغم تبين عدم صحة أحكام دي غوية ، لصراحة النصوص التاريخية ، فما زال إلى اليوم من يحاول أن يجعل الرمادة والواقوصة جنوب نهر اليرموك (١) .

والنصوص التي قدمتها الروايات العربية والرومية تتفق إلى حد كبير مع الطبيعة الأرضية لميدان المعركة ، فلقد شغلت أرض المعركة المنطقة التي يحدها شرقاً وادي العلان ، وغرباً نهر الرقاد ، (وجعلوا بينهم وبين عسكر المسلمين ثلاثة فراسخ طولاً (٢) .

تشكيل الجيوش المتحاربة

تشكلت القوات الرومية من الفرق النظامية والعديد من الفرق المرتزقة التي تكونت من الأقليات القومية بالامبراطورية . وكان من بينها فرقة يقودها جبلة بن الأيهم الملك العربي المسيحي ، هذا إلى جانب قوات مرتزقة من الأرمن واليونان واللان والروس . والمثير للدهشة أن يحارب روسيون في قوات هرقل ، بينما المصادر التاريخية لم تكن قد ذكرتهم بعد كشعب .

وقاد الجيوش ثيودور الصقلاريليه في القيادة القائد الأرمني فاهان (باهان) . ويذكر الواقدي بأن قواد الروم كانوا خمسة قواد : وهم قناطر (بوقيناتير)

(١) عبد الرؤوف عون ـ الفن الحربي في صدر الإسلام ، القاهرة ١٩٦١ ص٢٢٦ـ٢٢٨ .
(٢) الواقدي ، ص ١٠٠ ، انظر الخريطة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ملك الروسية ، وجرجير (جرجيوس) ملك عمورية ودرنجار القسطنطينية وماهان ملك أرمينية وخامسهم قورين ابن أخت هرقل . ويبدو أن قورين هذا هو ثيودور الصاقيلار الذي اتفقت عليه جميع المصادر العربية والرومية (١) .

وقد شكلت القوات الرومية — حسب المصادر الوثيقة — ٢٠ كردوساً ضم إليها العرب المستنصرة من غسان ولخم وجذام ، يقودها جبلة بن الأيهم ، حيث كان في مقدمة باهان ، أي أمام قلب الجيش . وكان على الميسرة الدرنجار ، وعلى الميمنة بوقناطر الذي تضم قواته فرقة جرجير (جرجيوس جرجة) . وكانت ميمنة الروم تحتل موقعاً ضعيفاً من الناحية الاستراتيجية إذ كانت محاطة بالأهوية والأغوار ويحدها نهر اليرموك العميق ، لذلك دعمت بفرقة قوية من الرماة عسكرت في خنادق ، أما اقباض الروم فقد كانت في دير الجبل (٢) .

وكان تشكيل الجيش العربي على نظام الخمسة فرق ، أي القلب والميمنة والميسرة ، حيث ألحق بها الفرسان على شكل جناح ، وحيث شكلت معها وحدة متناسقة . وكان خالد بن الوليد على الفرسان وهاشم بن عتبة على المشاة (٣) . وقباث بن الأشيم على المقدمة وعبد الله بن مسعود على الروعة (٤) أما أبو عبيدة فكان على القلب ، غير أنه اضطر إلى تسليم القيادة إلى سعيد بن نفيل عندما أجمع قواد الأجناد على ذلك ، بسبب بعض الاعتبارات النفسية إذ كان بالقلب وحول أبي عبيدة الكثير من أصحاب الرسول وحفظة القرآن الذين يخشى عليهم ضراوة القتال . غير أنه لم يتخل عن القيادة بل تأخر

---

(١) ابن حبيش ص ٧٢ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٦ ، الواقدي : ص ٩٧ ، ٩٨ ، ١٢٩ .
(٢) الهامش السابق .
(٣) ابن حبيش : ص ٧٢ ، ٧٨ — الواقدي ص ١٢٥ .
(٤) ابن حبيش ص ٧٩ ، ٨٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إلى مؤخرة القلب وسلّم سعيد اللواء ، وأشرف من هناك مع هذه النخبة الكريمة على سير المعركة (١) .

وقد اختلفت المصادر العربية والرومية في تقدير عدد القوات المتحاربة فمنها — العربية — ما ذكر بأن عدد الروم كان ٢٠٠ ألف (٢) يضاف إليها العرب المستنصرة والأرمن وهم فرقتان كل منهـا ١٢ ألف محارب (٣) بينما ذكرت بعض المصادر بأن الجيش العربي شكل قوة تبلغ الـ ٢٤ ألف محارب يضاف إليها مدد الخليفة عمر رضي الله عنه وهو ٧٠٠٠ محارب (٤) .

والمصادر الرومية تؤكد بأن القوات المتحـاربة الرومية تبلغ ٣٧ ألف محارب ، وتتفق هذه الرواية مع ابن حبيش نقلاً عن الواقدي في أن الروم قد صفوا ٢٠ كردوساً وبجوارها قوات العرب المستنصرة والأرمن .

والمرجح هو أن القوات العربية كانت في حدود ٣٧ ألف محارب والقوات الرومية ٧٠ ألف محارب (٥) .

سير المعركة

بدأت الالتحامات واللقاءات العسكرية التمهيدية في ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٥ هـ (٢٣ تموز — يوليو — ٦٣٦) ، وقد أطلق على سلسلة المعارك التي دارت بعد ذلك اسم معركة اليرموك . ومن أيامهـا الأخيرة الياقوصة

(١) الواقدي ص ١٢٥ ، ابن حبيش ص ٧٩ .

(٢) البلاذري ص ١٤٠ ، الياس النصيبي ص ١١٠ بينما ذكر ابن حبيش ص ٨٢ بأن الصقلار سار بمائة ألف مقاتل .

(٣) ابن حبيش ص ٨٢ ، دي غويه ص ١٠٧ .

(٤) ابن حبيش ٧١ ، ٨٢ ، الواقدي ١١٠ ، ١١١ .

(٥) اغابيوس ، كتاب المنوان ص ٢١٠ وجميع المراجع ورواية ابن اسحاق لدى الطبري .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(الواقوصة) حيث وقعت عند تتبع القالة الرومية في أهوية اليرموك بالقرب من فيق .

وكان اللقاء الأول بالقرب من الجابية في صالح العرب وبعده هدأ القتال ، وبقيت الجيوش المتحاربة معسكرة حوالي الشهر بدون أي مواجهة (١) .

وبدأت المعركة في تطورها الثاني باللقـــاء الذي أورده الواقدي عن عبد الملك بن عبد الحميد « أولها شررنا وآخرها ضرام الحرب ، وإن كل يوم يأتي أصعب من اليوم الآخر » فلقد هـاجمت فرقة رومية مكونة من ١٠ كراديس بقيادة باهان العرب ، ولكن النصر كان من نصيب العرب ، ولم ينته اللقاء إلا بحلول الليل (٢) .

وبعد أسبوع من الانتظار ، جاء اللقاء الثاني الذي صحبته بعـد ذلك لقاءات يومية ، وكان ذلك في شهر رجب (لخمس مضين من رجب) . وقد أثبت العرب مهارة خطتهم وصوابها باختيارهم هذا اليوم للقاء مع الروم فقد بدأه العرب في يوم هبت فيه رياح جنوبية حارة ، أذّت وأعمت عيون الروم بما تحمله من غبار وأتربة ، إلى جانب قيظ شمس آب القوية .

ولنتوقف لحظة ، لكي نتابع تفـاصيل اللقاءات التي دارت على أرض المعركة والتي استمرت بضعـة أيام ، وانتهت في الياقوصة ، عندما قضى العرب على قالة الروم الذين فروا في اتجاه الطريق الروماني الموصل إلى دمشق وفلسطين .

وكانت اللقاءات الأخيرة في أيام ثلاث ، يوم الضباب ، ويوم التمور ثم يوم الياقوصة حيث تم النصر النهائي على الروم .

---

(١) الواقدي ، ص ١٢١ .
(٢) ما قبله .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبدأ يوم الضباب عندما هاجم الدرنجار صاحب ميسرة الروم ميمنة العرب وفيها الأزد ومذحج وحمير وحضرموت وخولان ، فأزال المسلمين عن الميمنة ، فانحازوا إلى ناحية القلب (١) . وكانت قوات الدرنجار المهاجمة ٣ كراديس ، واندفع كردوس منها عندما انكشفت طائفة من المسلمين إلى المسكر ، وتبعتهم نحو الساقة ، غير أن قوة من ٥٠٠ رجل وفيها الحجاج ابن عبد يغوث بن عمرو بن الحجاج شدّت على الروم وشغلتهم عن اتباع من انكشف ، وداهم في نفس الوقت خالد بن الوليد وهو على الفرسان المهاجمين الروم . وشكل تحرك الفرسان بقيادة خالد مناورة هدفها حصر الروم وعزلهم عن بقية القوات المهاجمة . لذلك أسرع الروم بالانسحاب ، فالتأم الصدع الذي أصاب الميمنة العربية (٢) .

وفي نفس الوقت هاجمت ميسرة العرب الميمنة الرومية حيث الرماة في خنادقهم ، فتعرض لها بوقناطر ، فشد عليه عمرو بن العاص بقواته وكشفه ، فاضطر إلى الفرار نحو قلب الجيش الرومي (٣) لذلك سارع جرجير (جرجيوس) وهاجم العرب لتغطية انكشاف الميسرة وقلب الجيش (٤) .

وخلال سير المعركة ، تعرض القلب العربي للانكشاف أثناء الشد والصدام ، إذ تمكنت بعض الكتائب الرومية (العربية) من التسرب إلى اقباض الساقة ، فتعرض لهم قثامة بن الأشيم ، وشد العرب الصدام حتى لا يلقى بهم إلى النهر ، وسرعان ما تحول الدفاع العربي إلى هجوم معاد بعد لم شمل الصفوف ، وسد

(١) ابن حبيش ، ص ٧٧ ، ٧٩ .
(٢) ما قبله ، الواقدي ص ١٢٧ .
(٣) ابن حبيش ص ٨ ، الواقدي ص ١٢٩ .
(٤) ما قبله .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الثغرات التي فتحت في خطوطهم ، فاضطرت القوات الرومية للمرة الثانية إلى الانسحاب لحرج موقفهم (١) .

ولعب الخلاف بين القواد الروم دوراً هاماً في سير المعركة وذلك لصالح العرب وسبب الاضطراب في صفوف الجيش الرومي . فلقد شب الخلاف والنزاع بين الفرق الرومية المرتزقة ، ومعظمهم بالميسرة الرومية وبين الفرق النظامية وقيادتها . وقاد الخلاف في الأيام التالية إلى هزيمة الروم المنكرة . إذ استفحل العداء والتذمر وعدم الرضا بين القواد الروم ، عندما ازداد النزاع الشخصي عمقاً بين بوقناطر وجرجيوس (جرجة) من جهة ، وبين القائد العام ثيودور وباهان من جهة أخرى (٢) . وتناول ثيوفانس المؤرخ الرومي أطراف هذا النزاع ، غير أن المصادر العربية كانت أدق ووافية .

وفي يوم التعوير ، وهو ثاني أيام اليرموك ، صفت القيادة العربية قواتها وصفوفها ، طبقاً للخطة المتبعة في الصفوف الثلاثة ، ووجهوا عنايتهم بشكل خاص إلى الرماة ، فلقد أثبتت وقائع اليوم الأول أهمية اتباع هذا التكتيك الجديد ، لذلك قسّم العرب إلى ثلاثة أقسام ووزعوها على أقسام الجيش الثلاثة وألحق بكل قسم ٥٠٠ رام (٣) .

وبدأ الصدام عندما شنّ الروم هجومهم على ميمنة العرب ، إذ أنهم قد فطنوا إلى ضعف ميمنتهم وتعرضها لهجوم الفرسان العرب ، لذلك عززوها بصفوف من الرماة ذوي الأسلحة الثقيلة ، والتي ألهبت ميسرة العرب برمايتها وخلال ذلك اليوم انكشفت الميمنة العربية مراراً عدة بسبب تركيز الهجوم

---

(١) الواقدي ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

(٢) ما قبله .

(٣) الواقدي ، ص ١٣٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عليها ، غير أن العرب أقحموا فرسانهم في خطوط الميسرة الرومية المهاجمة ، بينما غطت كتيبة أخرى من الفرسان العرب الانفراج الذي حدث بالميمنة العربية . وشددت النكير على الروم ، فاضطرتهم إلى الانسحاب تاركين ميسرتهم مكشوفة (١) .

وأوردت المصادر العربية الكثير من التفاصيل عن هزيمة ميسرة الروم ، وعن فرارها أمام هجوم العرب . هذا في الوقت الذي أمطرت فيه ميمنة الروم بسهامها ورماحها الميسرة العربية ، ملحقة بها أفدح الأضرار ، مما جعل العرب يطلقون على هذا اليوم يوم التعوير ، وفيه نكب أبو سفيان بفقد عينه (٢) . وكثرت الروايات العربية عن يوم التعوير ، واختلطت أحداثه بأحداث يوم الياقوصة ، غير أن معظمها اتفق على أن العرب ارتدوا ثلاث مرات ، من شدة الطعن والرمي ، إلى أن تمكنوا من الخلاص بعد أن كادت تلحقهم الهزيمة (٣) وذلك بتركيز هجومهم ، فاضطر الروم إلى التجمع على ضفاف اليرموك (٤) .

وجاء اليوم الثالث بالشؤم وسوء الحظ للروم ، فكلما تفلتوا في الصفوف العربية ، وكادوا يصلون إلى مرحلة النصر الحاسمة ، جوبهوا ببطولة وبسالة النساء العربيات اللواتي تعرضن لهن بكل ما وقع تحت أيديهن من سلاح ، واشتركن بذلك في الدفاع وفي طرد منهزمة المسلمين ودفعهم إلى ميدان القتال (٥) .

---

(١) الواقدي ، ص ١٢٨ ، وابن حبيش ص ٨١ .
(٢) الواقدي وجميع الروايات بكتب التاريخ ، واقدي ص ١٢٨ .
(٣) الواقدي ص ١٢٨ – ١٣١ .
(٤) الواقدي ما قبله : « وانحازت الروم إلى جانب اليرموك » .
(٥) جميع كتب التاريخ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وباشتداد ضرام الحرب والطعان ، وضع الروم في السلاسل ، حتى يشكلوا حائطاً يصد الهجوم العربي . ولكنهم سرعان ماصاروا هدفاً للرماة العرب ، حيث أمطروهم بوابل من السهام ، ومن لم يلق منهم الموت بالسلاح ، لقيه عند فراره في قاع الهاوية التي تحف بالوادي ، وبدأت الفوضى تتغلغل في سفوف القوات الرومية ، وقد استفحل العداء بين قوادهم ، وأخذت قواتهم في الارتداد أمام القوات الصغيرة العربية ، الكبيرة في قوة الهدف . فهلك الصقلار ثيودور ، أما فاهان (باهان) فانه آثر الفرار ناجياً بحياته .

وترجع أسباب هزيمة الروم إلى ضعف خططهم الحربية الرامية إلى توسيع جبهة القتال ، في الوقت الذي كدسوا فيه رماتهم باليمنة الضعيفة من الناحية التكتيكية ، لذلك تعرضت اليمنة طوال القتال لهجوم الخيالة العربية التي كانت تدهسهم وتفصل بينهم وبين بقيـة الجيش الرومي ، إلى أن توصلت أخيراً إلى حصرهم بعد القيام بعملية التفاف ، ودفعتهم نحو ضفاف النهر والأودية والأهوية العميقة ، حيث لقي الكثير منهم حتفهم ، ومن بينهم العديد من القواد الروم ، مثل حاكم نابلس وملك اللان (١) . بينما تركز الخلاف والنزاع باليمنة الرومية ، وهذا ماجعل القواد يتنازعون في إصدار الأوامر والخروج عن تعليمات القائد العام . لذلك فقدت القيادة العامة السيطرة على قواتها ، التي سرعان ما انهارت فأسرعت بالانهزام والفرار للتحصن بالمناطق المنيعة ، غير أن فرسان العرب تتبعتهم وطاردتهم إلى أن وصلوا إلى الياقوصة حيث أبيدت معظم القوات الرومية (٢) .

---

(١) الواقدي ص ١٣٤ ، وقد سماه ماريوس ، وثيوفانس يذكر بين قواد الروم قائداً سمي بهذا الاسم .

(٢) الواقدي : نفس المكان ، وراويه سيف بن عمر لدى الطبري .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ونعود هنا لنناقش كلمة الرماد التي أشار اليها دي غوية من قبل ، فلقد أفضى الواقدي إلى قصة طويلة ، حاول فيها أن يبرر الأسباب التي دعت إلى فناء الروم وقص حكاية شخص موتور قاد القوات الرومية أثناء فرارها إلى مكيدة سقطوا بسببها في الأهوية العميقة (١) . غير أن هناك من الروايات ماتفيد بأن الروم اضطروا إلى خوض مياه الآنهار والمستنقعات حيث أبادتهم العرب ، وهـذه الحقيقة لاتتفق مع فرضية دي غوية في أن وادي الرماد يقع في الواقوصة . فنحن نعرف بأن الرماد هو تحريف لفظي للرقاد ، وهو النهر الذي سقط فيه الكثير من الروم . ومن ثمّ فإن العرب طاردوا فالة الروم إلى أن وصلوا إلى الياقوصة ، وهناك أفناهم العرب عن بكرة أبيهم . ومن هنا عمّم يوم الياقوصة وأطلق على يوم اليرموك ، بينما الياقوصة هي إحدى أيام اليرموك .

وكان تمام انتصار العرب على الروم في ١٢ رجب ١٥ هـ الموافق لـ ٢٠ أغسطس (آب) ٦٣٦ م وفقدت الامبراطورية بهزيمتها في اليرموك الأمل في استرداد سورية التي ضاعت منها إلى الأبد ، بل وتعرضت الامبراطورية الرومية للهجمات العربية إلى أن سقطت . وتحقق بذلك قول هرقل عندما ودع سورية بقوله : « عليك السلام يا سورية ، سلاماً لا اجتماع بعـــده ، ولا يعود إليك رومي أبداً إلا خائفاً حتى يولد المولود المشؤوم ، ويا ليته لا يولد من أجل فعله وأمر عاقبته على الروم » .

ولم يعد الروم إلى الشام إلا مع الحروب الصليبية ، وخرجوا منها بعد زمن بسبب وحدة الصف العربي ، وتحقق الشطر الأخير من وداع هرقل ، وصارت الشام أرض العروبة ومنبرها طوال العصور ، وكذلك فلسطين إلى أن وقعت فريسة الصهاينة .

(بودابست) الدكتور عبد المنعم مختار أمين

(١) كتب التاريخ ـ الواقدي ـ الطبري ـ ابن حبيش .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net